

وقد أجازت الحكومة الروسية "التطفل" الأمريكي على إمبراطوريتها السابقة في البداية، أملا في أن تتجاهل واشنطن تباعا الجرائم الروسية في الشيشان. لكن بالنسبة للكرملين، فإن "الشراكة الاستراتيجية الجديدة" الأكثر رواجاً ضد "الإرهاب" بينه وبين البيت الأبيض كانت دائماً أكثر (بقليل) من مجرد زواج مصلحة مؤقت وتكتيكي للسماح لاقتصاد روسيا المحطم أن يتعافى بمساعدة الرأسمال من الشركات الغربية. الوجود الأمريكي في فناء روسيا أصبح أكثر حزماً، لكن من غير الوارد بالنسبة لأغلبية المؤسسة الروسية أن تتنازل موسكو عن توجهاتها وطموحاتها للسيطرة الدائمة على آسيا الوسطى.

منذ 11 سبتمبر، 2001، تولت إدارة بوش تعزيزاً عسكرياً ضخماً في آسيا الوسطى، بنشر الآلاف من القوات الأمريكية ليس فقط في أفغانستان، ولكن أيضاً في الجمهوريات المستقلة حديثاً، أوزبكستان، كورجستان وجورجيا. وقد غيرت القوات المقاتلة الأمريكية الأولى من نوعها على أرض سوفيتية سابقة، بشكل مثير معادلات القوة الجغرافية السياسية الهامة في المنطقة، مع محاولة واشنطن طي نصر الحرب الباردة ضد روسيا، واحتواء النفوذ الصيني وإحكام جبل المشنقة حول إيران. والأهم من ذلك، أن إدارة بوش تستخدم الحرب على "الإرهاب" لتعزيز مصالح الطاقة الأمريكية في آسيا الوسطى. وأحد أكبر "الجوائز" في عالم اليوم هي احتياطات الطاقة في منطقة قزوين، النفط والغاز. على شواطئه، وفي أسفل بحر قزوين، يوجد أكبر احتياطي عالمي غير مستغل. حيث تتراوح التقديرات من 85 إلى 219 بليون برميل من الزيت الخام، بقيمة تصل إلى 4 تريليون دولار. وطبقاً لوزارة الطاقة الأمريكية، فإن أذربيجان وكازاخستان وحدهما يتوفر باطنهما على 110 بليون برميل، أكثر من الاحتياطات الأمريكية بثلاث مرات. وقد استثمر عمالقة النفط مثل إكسون موبيل، شيفرون تكساكو وبريتيش بتروليوم، أكثر من 30 بليون دولار في مرافق الإنتاج الجديدة.

والهرولة الأمريكية العدوانية وراء النفط في قزوين، لم تبدأ مع إدارة بوش، ولكن أثناء فترة كلينتون، الذي قاد بنفسه دبلوماسية النفط وخط الأنابيب مع زعماء منطقة قزوين. وبالرغم فشل كلينتون في الحد من التأثير الروسي في المنطق، فإن أقطاب الصناعة الأمريكية اندهشوا وانبهروا.

"لا يمكن أن أفكر في وقت، تظهر لنا فيه منطقة جانبية فجأة كمكان استراتيجي مثل قزوين" على حد تعبير تشيني في عام 1998 في خطاب أمام أرباب صناعة النفط في واشنطن، وكان حينها تشيني المدير التنفيذي لـ"هالبرتون" (Halliburton) عملاق خدمات النفط. في مايو 2001، تقدم تشيني، (وقد أصبح نائب الرئيس الأمريكي)، باقتراح سياسة للطاقة القومية للإدارة، وعرض على الرئيس بأن "يجعل أمن الطاقة أولوية تجارتنا وسياستنا الخارجية"، وخص بالذكر حوض قزوين كمنطقة مخزون جديدة مغرية. ومن ثم، تمسكت إدارة بوش بـ "اللعبة العظيمة الجديدة" في جولتها الثانية.

باحتمال إنتاج 4.7 مليون برميلاً من النفط يومياً قبل حلول 2010، فإن منطقة قزوين أصبحت حاسمة بالنسبة للسياسة الأمريكية وذلك لتنوع مخزون الطاقة، والممون الرئيسي الآخر هو خليج غينيا الغني بالنفط، حيث طورت كل من إدارة كلينتون وبوش بقوة مصالح النفط الأمريكية هناك، وقووا العلاقات مع النظم الغرب إفريقية المرتشية. علماً أن استراتيجية تنوع المخزون، ضُمت أصلاً بعد صدمة النفط في عام 1973.

وفي الوقت الذي سيواصل فيه استهلاك النفط العالمي في الارتفاع وآبار البترول الكثيرة خارج منطقة الشرق الأوسط قريبة من الاستنزاف، فإن منظمة أوبك ستوسع على المدى البعيد نصيبها في السوق العالمي، الأمر الذي يدفع الولايات المتحدة أن تستورد أكثر من ثلثي حاجات طاقتها الكلية قبل سنة 2020، وغالباً من الشرق الأوسط المتقلب. وللتهرب من "ميثاقها المادي" مع السعودية، حاولت واشنطن تقليل اعتمادها على النفط السعودي من خلال السعي لتأمين الوصول إلى المصادر الأخرى.

لكن آسيا الوسطى ليست أقل تقلباً من منطقة الشرق الأوسط، وسياسة النفط تزيد الأمر سوءاً: قد اندلعت النزاعات الشرسة على طرق خط الأنابيب من منطقة قزوين المحاطة باليابسة إلى موانئ البحر. وتعمل روسيا، على ترقية طرق خط الأنابيب عبر الشيشان (خلسة) في شمال القوقاز. كما تريد الصين، العملاق الذي يعتمد بشكل متزايد على نفط في المنطقة، بناء خطوط الأنابيب الشرقية من كازاخستان، في حين تعرض إيران شبكة خط أنابيبها للصادرات عبر الخليج.

على العكس من ذلك، فقد أمنت كل من إدارة كلينتون وبوش خطي الأنابيب اللذين سيتجنيان كلا من روسيا وإيران. أحدهما، صُمم من قبل شركة البترول الأمريكية أنوكال في منتصف التسعينيات، سيمر من تركمانستان عبر أفغانستان إلى الميناء الباكستاني "جوادار" على المحيط الهندي. وبعد أشهر من الإطاحة بنظام طالبان، وقع الرئيس الأفغاني المعين حامد كرزاي، مستشار أنوكال السابق، معاهدة مع كل من الرئيس الباكستاني برفيز مشرف وصابر مراد نيازوف الدكتاتور التركماني للتصريح ببناء خط أنابيب غاز بقيمة 3.2 بليون دولار عبر ممر هيرات-كانداهار في أفغانستان، بقدرة تصل إلى 1 تريليون قدم مكعب من الغاز في السنة، ودراسة الجدوى تحت التنفيذ، وخط أنابيب موازي للنفط يُخطط أيضاً للعرض. لكن حتى الآن، منع استمرار صراع قادة الحرب في أفغانستان

أي مستثمر خاص من التقدم. وقد بدأ بناء خط أنابيب البترول ضخم (3.6 بليون دولار) من عاصمة أذربيجان باكو يمر عبر جورجيا المجاورة إلى ميناء "جيهان" بالبحر الأبيض المتوسط في تركيا. واستثمرت شركة أموكو النفطية البريطانية، البلايين في أذربيجان الغنية بالنفط ويمكنها الاعتماد على دعم سياسي حازم من إدارة بوش التي وضعت حوالي 500 من قوات "الصفوة" في جورجيا المُدمرة بفعل الحرب في مايو 2002.

وحاولت موسكو من خلال تمركز الآلاف من القوات الروسية حتى الآن في جورجيا وأرمينيا، ردع مستثمري خط أنابيب النفط الغربيين باستثارة النزاعات العرقية الدموية قرب طريق خط الأنابيب لسنوات، في الجيب الأرميني لناجورنو-كاراباخ في أذربيجان وفي الأقاليم المنفصلة الجورجية أبخازيا، ساوث أوسيتيا وأجاريا.

ويبدو أن الخصوم الكبار لـ "لعبة" واشنطن في موسكو وبكين مستاءون من النفوذ الأمريكي الذي تغلغل بشكل مثير في بيئتهم الاستراتيجية.

وقد أجازت الحكومة الروسية "التطفل" الأمريكي على إمبراطوريتها السابقة في البداية، أملا في أن تتجاهل واشنطن تباعا الجرائم الروسية في الشيشان. لكن بالنسبة للكرملين، فإن "الشراكة الاستراتيجية الجديدة" الأكثر رواجاً ضد "الإرهاب" بينه وبين البيت الأبيض كانت دائما أكثر (بقليل) من مجرد زواج مصلحة مؤقتة وتكتيكية للسماح لاقتصاد روسيا المحطم أن يتعافى بمساعدة الرأسمال من الشركات الغربية. الوجود الأمريكي في فناء روسيا أصبح أكثر حزما، لكن من غير الوارد بالنسبة لأغلبية المؤسسة الروسية أن تتنازل موسكو عن توجهاتها وطموحاتها للسيطرة الدائمة على آسيا الوسطى.

[↑ للعودة لأعلى](#)